

رد فعل تاريخي من أردوغان بعد انخفاض الليرة التركية

(لن تر كع تركيا وستنهض اليوم كما نهضت)

ليست مسألة دولار أو يورو أو ذهب بل هي حرب اقتصادية تُشن علينا. هكذا يصف الرئيس (رجب طيب أردوغان) التراجع السريع لليرة التركية بعد فرض عقوبات أمريكية على بلاده، وفي مقالة كتبها لصحيفة نيويورك تايمز: حذر (أردوغان) من أن واشنطن تلحق الضرر بمصالحها وأمنها، مشيراً إلى أن تركيا تبدأ البحث عن حلفاء جدد إذا لم يتراجع الأمريكيون عن إجراءاتهم، وكشف الرئيس التركي أن بلاده تستعد لاستخدام عملتها المحلية في علاقاتها التجارية مع روسيا وإيران والصين وأوكرانيا.

تقرير زياد بركات

لن نخضع... يكررها (أردوغان)، وقد استهدف ونظامه أو (هذا ما يقوله على الأقل)، يوجه خطابه إلى دخل يزداد التفاؤاً حوله وتلك لغته، فهذه الأمة لن تخضع عبر التهديد، إنها كما قال: تنهض من المكان الذي وقعت فيه بالأمس نهضت وتنهض اليوم وغداً... تتغير لغة الرجل بعض الشيء حين يخاطب الأمريكيين لكنها تحافظ على ندية يحرص عليها في علاقاته الدولية، ففي مقال في (النيويورك تايمز) يحذر (أردوغان) من خطر يتهدد العلاقات مع واشنطن إذا لم تحترم سيادة بلاده، أما البديل فهو البحث عن أصدقاء وحلفاء جدد ومن هؤلاء موسكو تحديداً إضافة إلى قوس يتسع لأصدقاء آخرين من الصين إلى دول أوروبية مروراً بإيران ممن تضرروا من سياسة الرئيس الأمريكي.

الأزمة إذا صح الوصف ليست مالية وإن كان ظاهرها كذلك، فهي بالنسبة للرجل ومناصريه انقلاب يكاد يكون فجاً، فما عجزت عنها دبابات الانقلابيين وقد رفعوا أيديهم استسلاماً أمام ما يشكله الرجل من حالة فريدة في تاريخ بلاده، يسعى البعض لتحقيقه بالتآمر وفقاً للبعض داخلياً، وبضرب العملة الوطنية ونخر الاقتصاد التركي من داخله لإسقاط النظام في نهاية المطاف، لكن انخفاض الليرة هناك لم يتضرر منه أردوغان وحسب، بل أزمات تعلي من شأن خطابه غالباً وتزيد من شعبيته، فهناك آخرون (بورصة وول ستريت) هبطت والخاوف من تأثر اقتصادات الدول الأخرى ساهم في انخفاض تاريخي لليورو الذي هبطت قيمته إلى أدنى مستوى لها منذ عام أمام الدولار، وهناك مخاوف حقيقية من تداعيات سلبية على

كبرى المصارف الأوروبية بسبب انكشافها على الاقتصاد التركي وهو ما يعني أن ثمة صدمة كبرى في العالم بأسره جراء ما يحدث لليرة التركية، فمعظم البورصات الأوروبية أُغلقت على تراجع وثمة تساؤلات حول عدوى محتملة قد تضرب عملات دول أخرى.

لعلها الحرب على العالم كله التي يخوضها (ترامب) في رأي البعض، فهو لم يضاعف الرسوم الجمركية على الألمنيوم والصلب من تركيا فقط بل من دول أخرى أيضاً، لكن يعتقد أنه في الحالة التركية يريد إخضاع أنقرة تماماً، فقد رفضت إطلاق سراح قس أمريكي تحتجزه لديها بشروط واشنطن وسبق لها أن أعلنت أنها لن تلتزم بالعقوبات الأمريكية على إيران، هذا بالإضافة إلى خلافات أخرى حول التزود بالأسلحة الروسية خصوصاً صواريخ (S400)، وموقفها من تل أبيب ونظام بشار الأسد وقضايا أخرى ذات صلة ببعض حلفاء واشنطن في منطقة الخليج كل ذلك يجعلها في دائرة الاستهداف المعلن وبأكثر وسائل الحروب بشاعة، فهناك من يتحدث عن قيم دولة خليجية دون غيرها بإنفاق المليارات بسخاء لتدمير الاقتصاد التركي، وهناك من يدعو إلى مقاطعة منتجاتها وأسواقها وبيع الممتلكات فيها بأقل الأسعار لدفع أنقرة إلى الركوع، كما يقول مناصرون لهؤلاء.

لن نركع لغير الله (يقول أردوغان) ويؤكد .

هذا الموضوع جرت مناقشته مع :

من إسطنبول الدكتور (برهان كور أوغلو) أستاذ العلاقات الدولية في جامعة ابن خلدون من مدينة نيو جيرسي (ستيفن رودجرز) عضو مجلس المستشارين في حملة الرئيس (دونالد ترامب)

من مدينة مديسون هايس في ولاية ماتشيغنا الدكتور (مصطفى شاهين) مدرس الاقتصاد في كلية (أوكلندا) الأميركية .

س : قلق الأسواق العالمية كان واضحاً من أزمة الليرة التركية، لكن الرئيس أردوغان يدعو إلى عدم القلق من تقلبات سعر الصرف، علام يستند في اطمئنانه هذا؟

د . برهان أوغلو : أولاً: الاقتصاد التركي اقتصاد قوي وفيه إنتاج عدا عن نسبة الإنتاج الصناعي العالية فيه وكذلك طبعاً السياحة التركية قوية، وهناك نسبة كافية من العملات الصعبة في خزانة الدولة، حتى الشعب اعتقد بأن لديه نسبة كافية من الذهب والعملات

الصعبة، كذلك إن تركيا ليست كأى دولة صغيرة تتأثر بشكل كبير من هذه المؤامرات عليها، بهذا الاقتصاد وخاصة النظام البنكي التركي متين جداً تستطيع أن تقاوم هذه الهجمات على العملة التركية .

س : رغم ذلك العملة يتدنى مستواها أمام الدولار وتنخفض قيمتها !

د .برهان أوغلو : هذا صحيح : إن البنك المركزي التركي يترك الأمور على طبيعتها ولكن يمكن أن يتدخل في أي لحظة (ذلك يرجع إلى قرار الحكومة)، وأيضاً هناك ارتباك عالمي ليس فقط متعلق بتركيا، هناك حتى اليورو يتدنى أمام الدولار والبنوك الغربية المركزية رفعت نسبة الفوائد .

هناك طبعاً أزمة سياسية بين تركيا وأمريكا خاصة التصرفات الأمريكية الأخيرة .

س : بالانعكاسات العالمية . هل الولايات المتحدة تستطيع حصر تداعيات هذه الأزمة في حدود تركيا من دون أن تنتقل لتشكل أزمة مالية عالمية ؟

السيد ستيفن : دعونا نضع الأشياء في منظورها الصحيح، القيادة التركية تبالغ بشكل كبير جداً، إن الهدف من العقوبات التي يفرضها الرئيس الأمريكي (على سبيل المثال) العقوبات لا علاقة لها في الرغبة بتغيير النظام في تركيا، إن العقوبات ليست بداية حرب اقتصادية، يجب أن نبقي في أذهاننا أن تركية حليفة وهي جزء من النيتو وكذلك الرئيس الأمريكي كان واضحاً للغاية فيما يتعلق الأمر بالعقوبات والتعرفة الجمركية التي تم فرضها وكذلك البرامج الاقتصادية التي جلبها إلى الاتحاد الأوروبي ودول حلف الأطلسي وكل هذه لها علاقة بتجارة عادلة، إذاً في نهاية المطاف هذه التعرفة بسيطة لا بد أن يكون هناك تجارة حرة لكن لا بد أن تكون حرة في الآن ذاته، الأمر يتعلق بحرب اقتصادية هي مشكلة عائلية ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية المطاف سيجلس مع القيادة التركية لإيجاد حل للمسألة .

س : هل المسألة بهذه البساطة سيد ستيفن ؟ !

السيد ستيفن : نعم هي كذلك، المشكلة التي نواجهها نعلم في هذه البلاد أن الإعلام الرئيسي لديه عادة أنه يقدم سرديات خاطئة، إن رئيس الولايات المتحدة كان واضحاً وقال إنه يسعى لأفضل مصلحة للولايات المتحدة الأمريكية كما هو الشأن بالنسبة للرئيس التركي

يسعى لتحقيق مصالح تركيا وشعبها، عندما يكون هناك هذه السرديات المتضاربة وعندما يلتقي الرئيسان الأمر سيكون مختلفاً.

س: من الذي سيتأثر وكيف ستنعكس هذه الأزمة على الأسواق المحيطة مثل (الأسواق الأوروبية والأسواق الناشئة)؟

د. مصطفى شاهين: الحقيقة إن التأثيرات سواء كانت في الأسواق الناشئة أو حتى داخل الجمهورية التركية، بطبيعة الحال إن انخفاض الليرة التركية سيدفع معدل التضخم إلى الارتفاع داخل تركيا، سوف تتفاجأ الناس بارتفاع الأسعار (الطعام، الشرب، السكن) لأن تركيا مستورد وحجم استيرادها لا يقل عن ١٣٠ مليار دولار فبطبيعة الحال أغلب الواردات بالدولار الأمريكي فالأسعار داخل تركيا سترتفع، الأمر الثاني والأخطر: العجز في الميزان التجاري والانخفاض في العملة التركية سيدفع تركيا إلى تخفيض الواردات فسوف نفاجئ بأن واردات تركيا سواء من أوروبا أو الصين أو أمريكا ستبدأ تنخفض لأن (الأسعار ستكون مرتفعة بالنسبة لهم) وهذا يبدأ يشجع المنتج التركي بأن ينتج داخل بلاده، بالإضافة إلى انخفاض الصادرات الأوروبية والأمريكية والصينية فمن الممكن أن نفاجئ بأن الصادرات الأمريكية سوف تنخفض، وهذا ما شهدناه اليوم (انخفاض اليورو الأوروبي) لسببين:

الأول: هناك الكثير من البنوك الأوروبية أعطت قروض للأتراك، فلو استشعر الأتراك بأن الأمر سوف يكون صعب عليهم أن يوفروا الحصة الدولارية (لو عجزوا عن سداد الأقساط) مباشرة ستنهيار البنوك في أوروبا، وانهيار البنوك في أوروبا لها مشاركات داخل الولايات المتحدة الأمريكية قد تؤثر على كثير من البنوك داخل الولايات المتحدة الأمريكية ولذلك نحن وجدنا انخفاض في أسعار الأسهم في بورصة نيويورك.

إذاً نحن الآن أمام عدوى من الممكن أن تنتشر (ممكن أن تنتقل من تركيا إلى أوروبا وإلى أمريكا) لا لشيء إلا أن تخفيض الليرة التركية سوف يؤدي إلى مصاعب للشعب التركي ومن ثم مصاعب على الأوروبيين ومن ثم مصاعب على الأمريكان، الأخطر ما في الولايات المتحدة الأمريكية أن الدولار الآن أصبح قوياً وعندما يكون الدولار قوي سيضر الاقتصاد أكثر مما ينفعه لأنه عندما يكون الدولار قوي الصادرات الأمريكية سوف تكون مرتفعة الثمن على الناس، وبالتالي أوروبا لن تتمكن من شراء الصادرات من أمريكا وكذلك تركيا ومصر

والسعودية ستعجز عن الشراء من أمريكا وسوف يفضلوا البديل (أي البديل الصيني) ففي النهاية سوف تُفاجئ بأنه سيحصل عجز داخل أمريكا بأن واردات أمريكا ستكون أكثر من صادراتها نتيجة لقوة الدولار.

إذاً هذا ما يفسر انخفاض وول ستريت وانخفاض الأسهم الأوروبية بعد الأزمة التركية
س: الرئيس أردوغان تحدث عن بدائل وأشار إلى البحث عن أصدقاء وحلفاء جدد مشيراً
بوضوح إلى الصين وروسيا وأيضاً إلى إيران، هل يكفي التعويل على هؤلاء الحلفاء وهل
بإمكانهم فعلاً مواجهة الضغوط الأمريكية؟

د. برهان أوغلو: كلنا نعرف بأن الأزمة ليست متعلقة بتركيا وأمريكا وإنما أزمة عالمية وطبعاً
سببها الأساسي:

أولاً: هذه التصرفات الجديدة من الإدارة (إدارة ترامب) خاصة في شخصية ترامب ومن حوله
من المتطرفين، ولكن هناك شيء جديد في العالم، هناك قوة صاعدة مثل الصين وجنوب
إفريقيا وتركيا كذلك في منطقتها أصبحت قوة صاعدة اقتصادية وسياسية كبيرة، كل هذه
التطورات يُزعج الإدارة الأمريكية وبدأ يتخذ حليف من دول الحلفاء مثل الاتحاد الأوروبي
وتركيا مواقف معادية (هذا هو السبب الأساسي) وطبعاً موضوع اعتماد الدولار كعملة
أساسية في العالم بدأنا نتساءل حوله لأن الولايات المتحدة بدأت تستعمل هذه الوضعية
لصالحها بشكل غير عادل وقد ذكر السيد (ستيفن) من أمريكا بأنهم يريدوا تجارة عادلة إذاً
لابد من أن تتصرفوا بشكل عقلاني ولذلك تركيا بدأت تبحث عن بدائل ليس فقط فيما
يتعلق بالتجارة وإنما فيما يتعلق بالأمن القومي أيضاً لأنه كلنا نعرف بأن تركيا تعرضت
لضغوط من منطقتها ولكن لم تجد هذا الدعم من حلفائها لذلك اتجهت إلى شراء
صواريخ (S400) وهذا ما أزعج الأمريكان.

س: هل الولايات المتحدة تريد أن تخاطر فعلاً بالحليف التركي كي يكون بجانب روسيا
والصين وإيران، وخصوصاً وأن أردوغان قال وبوضوح أن هذه الأزمة تضر بأمريكا
ومصالحها وأمنها؟

سيد ستيفن: إن تركيا تشكل الاقتصاد رقم سبعة عشر في العالم، وقادة تركيا يعتقدون أنه سيكونون بشكل أفضل مع إيران التي يعتبر اقتصادها ليس فقط ينهار وإنما بلادهم أيضاً تنهار، إن الشعب الإيراني سأموا من القيادة الإيرانية، روسيا أيضاً اقتصادها ليس جيداً، الصين ربما اقتصادها أفضل من الاثنين السابقين لكن أفهم أن لديهم مشاكل اقتصادية. عندما يتعلق الأمر بالأمن القومي فلا سبيل لتركيا بأن تكون بحالة جيدة مع أي من هذه البلدان السابقة، أفضل حل بالنسبة لتركيا هو الجلوس مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لحل هذه المسائل من خلال طاولة التفاوض، وأعتقد بصدق أن العلاقة ما بين الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا ستتحسن مجدداً، هذه تعتبر مشكلة عائلية لكن المشاكل يمكن أن تعود مجدداً إلى الوضع الصحيح.

س: هل تقصد هنا بأن تركيا لن تجد حلفاء أقوياء يستطيعون مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية لو تضافرت جهودها معهم؟ تقصد هنا بأن روسيا وإيران غير قادرتين على المواجهة؟

سيد ستيفن: سيكون هذا بمثابة نصيحة سيئة، إن تركيا والولايات المتحدة كانتا دائماً حليفان، فتركيا جزءاً من النيتو، وفيما يتعلق الأمر بحماية البلدان في هذه المنطقة، هذه القوة تكمن في النيتو حيث لن يكون هناك أي جواب مرضي لا من روسيا ولا من إيران، طبعاً كلتا الدولتين ستحبان أن يحصل هذا الأمر لكن لا أعتقد أن هذا الأمر سيحدث.

س: هل تتوقع أن يحصل هذا الأمر بإمكان مواجهة الأمر مع حلفاء جدد؟ على الصعيد الاقتصادي ثم السياسي.

د. مصطفى شاهين: من الناحية السياسية: الآن هناك تحالفات جديدة بدأت تنشأ بعد محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا، بدأت تركيا تأخذ منحى نحو روسيا وتعمق العلاقات مع الروس وكان من ضمنها (والتي عملت إشكالية مع الولايات المتحدة الأمريكية) وهي شرائها لصواريخ (S400) بالإضافة إلى أن تركيا تعتبر مستورد رئيسي للغاز والبتروول من روسيا وهذا ما يثير الخلاف مع الولايات المتحدة الأمريكية، لأنه في الأول والآخر لا ننسى أبداً في الحرب الباردة كانت تركيا المقر الرئيسي للناتو والمقر الرئيسي للولايات المتحدة التي نشرت

فيها الصواريخ لتهديد الاتحاد السوفييتي، وذلك عندما نشر الاتحاد السوفييتي صواريخه في كوبا فكانت هي الجار الأقرب للاتحاد السوفييتي أو (لروسيا) فالآن كون الروس يتحالفوا مع الصين ومع إيران ومع تركيا سوف يبدأ حلف الناتو بأن ينفض من داخله خاصة وأن تركيا تعتبر مكسب كبير جداً للروس أنهم يأخذوها من حلف الناتو والولايات المتحدة الأمريكية الآن لا تريد ذلك أن يحدث ولا تريد أبداً أن تخسر تركيا لأن خسارتها لتركيا سيكون لها أثر سلبي كبير جداً على الناتو أو على القوتين العظمتين والتي بدأت تتشكل مع الصين.

من الناحية الاقتصادية: من أجل أن يُعيد لليرة التركية مكانتها، يجب أن يكون لديه احتياطات تُضخ في السوق التركي، فالسؤال الآن: هل الصين أو روسيا أو إيران مستعدة أنها تضخ داخل الاقتصاد التركي ما لا يقل عن ١٠٠ مليار دولار؟

إنني أشك في هذا الرقم وقدرة هذه الدول بأن تضخ ١٠٠ مليار دولار، لأن العجز الآن في تركيا أو ما تدفعه تركيا كل سنة سواء عجز في الميزان التجاري بأن صادرات الأتراك أقل من وارداتهم بالإضافة للمدفوعات (الدين) سواء كانت داخلية أو الدين على شركات القطاع الخاص (ما يقارب ٢١٤ مليار دولار) نصفهم يُندفع بالدولار أي نحن نتكلم عن ١٠٧ مليار دولار وبالتالي هل الروس والإيرانيين والصينيين يستطيعوا أن يضخوا داخل الاقتصاد التركي ١٠٧ مليار دولار؟ أنا أشك في ذلك، ولذلك تلك نقطة الخلاف الأساسية، داخل تركيا الآن يطلب الرئيس التركي تخفيض سعر الفائدة إلى حدود ضئيلة جداً.

س: إن السيد (ستيفن) من الولايات المتحدة يقول بأن الرهان على حلفاء جدد هو رهان خاسر، هي تراهن على دول يعتبرها ضعيفة ما رأيك في ذلك؟

د. برهان أوغلو: أعتقد أنه في الولايات المتحدة رايان: رأي مؤيد للسيد (ستيفن) حيث يقول بأن تركيا يجب أن تكون مع الولايات المتحدة حيث لهم علاقات تاريخية مهمة جداً، ولكن التصرفات من السيد (ترامب) غريبة حيث تغريداته غريبة ولغة التهديد موجودة خاصة في الأزمات ما بين البلدين من مشكلة الانقلاب الفاشل ومشكلة القس الأمريكي والذي هو الآن في المحكمة ولكن يُطلب من تركيا بأن يُرد هذا الشخص إلى أمريكا بدون محكمة، كل هذه تُقلق تركيا لأن تركيا تريد أن يكون أمامها إدارة متزنة ولا يكون فيها همجيات لذلك تركيا فعلاً تبحث عن بدائل، ليس بمعنى أن تقطع علاقتها مع أمريكا فهناك

علاقات كبيرة ومهمة في كل النواحي والنظام السياسي التركي قريب من النظام السياسي الأمريكي من ناحية الديمقراطية وحقوق الإنسان ولكن هذه التصرفات في الفترة الأخيرة في الإدارة الأمريكية تُزعج إدارة تركيا حيث تعامل تركيا كدولة دكتاتورية ويُطلب من أردوغان بأن يعيد القس إلى الولايات المتحدة بدون أن يكون هناك محكمة، كل هذا هو سبب الانزعاج في الرأي التركي ولكن بالنسبة للدول الأخرى تركيا مفتوحة على كل العالم ولا يمكن أن يكون هناك أي مشكلة في العلاقات التجارية، ففرض العقوبات مثلاً على إيران تركيا قالت بأنها ضد هذه الفكرة ويكمن أن تُحل المشكلات بدون فرض العقوبات من خلال المناورات الدبلوماسية .